شرح
رسالة العبودية

المجلس الثاني

فضيلة الشيخ
عبد اللّه الغنيمان
-حفظه الله-

شرح

رسالة العبودية

المجلس الثاني

لفضيلة الشيخ

عبد اللّه الغنيمان

-حفظه الله-

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين، اللهم اغفر لنا ولشيخنا وللسامعين برحمتك يا أرحم الراحمين.

قال المصنف رحمه الله تعالى في رسالة العبودية: [فجنس الْمحبَّة يكون لله وَلِرَسُولِهِ كالطاعة فَإِن الطَّاعَة لله وَلِرَسُولِهِ والإرضاء لله وَلِرَسُولِهِ ﴿وَالله وَرَسُوله أَحَق أَن يرضوه﴾ [٦٢ التَّوْبَة] والإيتاء لله وَلِرَسُولِهِ ﴿وَلَو أَنهم رَضوا مَا آتَاهُم الله وَرَسُوله﴾ [٥٩ التَّوْبَة] .

وَأما الْعِبَادَة وَمَا يُنَاسِبهَا من التَّوَكُّل وَالْخَوْف وَنَحْو ذَلِك فَلَا تكون إِلَّا لله وَحده كَمَا قَالَ تَعَالَى [٦٤ آل عمرَان] : ﴿قل يَا أهل الْكتاب تَعَالَوْا إِلَى كلمة سَوَاء بَيْننَا وَبَيْنكُم أَن لَا نعْبد إِلَّا الله وَلَا نشْرك بِهِ شَيْئا وَلَا يتَّخذ بَعْضنَا بَعْضًا أَرْبَابًا من دون الله فَإِن تولّوا فَقولُوا اشْهَدُوا بِأَنا مُسلمُونَ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى [٥٩ التَّوْبَة] : ﴿وَلَو أَنهم رَضوا مَا آتَاهُم الله وَرَسُوله وَقَالُوا حَسبنَا الله سيؤتينا الله من فَضله وَرَسُوله إِنَّا إِلَى الله راغبون﴾ فالإيتاء لله وَلِلرَّسُولِ كَقَوْلِه [٧ الْحَشْر] : ﴿وَمَا آتَاكُم الرَّسُول فَخُذُوهُ وَمَا نهاكم عَنهُ فَانْتَهوا﴾ وَأما الْحسب وَهُوَ الْكَافِي فَهُوَ الله وَحده كَمَا قَالَ تَعَالَى [١٧٣ آل عمرَان] :

﴿الَّذين قَالَ لَهُم النَّاس إِن النَّاس قد جمعُوا لكم فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُم إِيمَانًا وَقَالُوا حَسبنَا الله وَنعم الْوَكِيل﴾ وَقَالَ تَعَالَى [٦٤ الْأَنْفَال] : ﴿يَا أَيهَا النَّبِي حَسبك الله وَمن اتبعك من الْمُؤمنِينَ﴾ أَي حَسبك وَحسب من اتبعك من الْمُؤمنِينَ الله وَمن ظن أَن الْمَعْنى حَسبك الله والمؤمنون مَعَه فقد غلط غَلطا فَاحِشا كَمَا قد بسطناه فِي غير هَذَا الْمَوْضُوع وَقَالَ تَعَالَى [٣٦ الزمر] : ﴿أَلَيْسَ الله بكاف عَبده﴾ .

وتحرير ذَلِك أَن العَبْد يُرَاد بِهِ المعبّد الَّذِي عبّده الله فذللّه ودبّره وصرّفه.

وَبِهَذَا الِاعْتِبَار فالمخلوقون كلهم عباد الله الْأَبْرَار مِنْهُم والفجار والمؤمنون وَالْكفَّار وَأهل الْجنَّة وَأهل النَّار إِذْ هُوَ رَبهم كلهم ومليكهم لَا يخرجُون عَن مَشِيئَته وَقدرته وكلماته التامات الَّتِي لَا يجاوزهن بر وَلَا فَاجر؛ فَمَا شَاءَ كَانَ وَإِن لم يشاءوا. وَمَا شَاءُوا إِن لم يشأه لم يكن كَمَا قَالَ تَعَالَى [٨٣ آل عمرَان] : ﴿أفغير دين الله يَبْغُونَ وَله أسلم من فِي السَّمَاوَات وَالْأَرْض طَوْعًا وَكرها وَإِلَيْهِ يرجعُونَ﴾ . فَهُوَ سُبْحَانَهُ رب الْعَالمين وخالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم ومقلب قُلُوبهم ومصرف أُمُورهم لَا رب لَهُم غَيره وَلَا مَالك لَهُم سواهُ وَلَا خَالق لَهُم إِلَّا هُوَ سَوَاء اعْتَرَفُوا بذلك أَو أنكروه وَسَوَاء علمُوا ذَلِك أَو جهلوه؛ لَكِن أهل الْإِيمَان مِنْهُم عرفُوا ذَلِك وآمنوا بِهِ؛ بِخِلَاف من كَانَ جَاهِلا بذلك؛ أَو

جاحدا لَهُ مستكبرا على ربه لَا يقر وَلَا يخضع لَهُ؛ مَعَ علمه بِأَن الله ربه وخالقه. فالمعرفة بِالْحَقِّ إِذا كَانَت مَعَ الاستكبار عَن قبُوله والجحد لَهُ كَانَ عذَابا على صَاحبه كَمَا قَالَ تَعَالَى [١٤ النَّمْل] : ﴿وجحدوا بهَا واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فَانْظُر كَيفَ كَانَ عَاقِبَة المفسدين﴾ وَقَالَ تَعَالَى [١٤٦ الْبَقَرَة] : ﴿الَّذين آتَيْنَاهُم الْكتاب يعرفونه كَمَا يعْرفُونَ أَبْنَاءَهُم وَإِن فريقا مِنْهُم ليكتمون الْحق وهم يعلمُونَ﴾ وَقَالَ تَعَالَى [٣٣ الْأَنْعَام] : ﴿قد نعلم إِنَّه ليحزنك الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُم لَا يكذبُونَك وَلَكِن الظَّالِمين بآيَات الله يجحدون﴾] .

الشيخ: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحابته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد.

قوله: فجنس المحبة تكون لله ورسوله كالطاعة، فإن الطاعة كذلك تكون لله ولرسوله، وكذلك الإرضاء يكون لله ولرسوله، قصده أن هذا يأتي مجموعا، المحبة والطاعة والإرضاء وليس المقصود أن المحبة التي تكون لله هي التي تكون للرسول أو يكون جنسها للرسول، وسبق أن قلت لكم: أن المحبة تنقسم إلى قسمين: محبة تسمى المحبة الخاصة، وهي التي تتضمن الذل والتعظيم، فهذه من خصائص الله، لا يجوز أن تكون لرسول ولا لغيره من البشر من الخلق،

لأنها هي العبادة، أما مطلق المحبة فيجب أن تكون لله ولرسوله، والله يجب أن يحب ولكن محبته غير محبة الرسول ﷺ، فإن محبة الله محبة ذل وخضوع وعبادة، أما محبة ا لرسول فهي محبة لله وفي الله، فهي تابعة لمحبة الله وبها يكمل إيمان المرء، لهذا يقول جل وعلا: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله﴾، وكذلك الطاعة يجب أن يطاع الله ويطاع الرسول، ومن أطاع الرسول فقد أطاع الله، ومثل ذلك الإرضاء، يجب أن نرضي ربنا ونرضي رسولنا ﷺ، ولكن إذا أضيفت الصفة أو الفعل إلى الله يجب أن يكون خاصا به، ولا يكون حقه كحق المخلوق، فحقه خاص به جل وعلا، فهو العبادة، والعبادة لا يجوز أن تصدر من العبد إلا لربه تعالى وتقدس، والطاعة كأنها سواء لأن الذي يطيع الرسول يطيع الله، لأن أمر الرسول هو أمر لله جل وعلا، وهذا معنى قوله: إنها جنس، أن جنس ذلك يكون لله ولرسوله، أما العبادة إذا جاءت العبادة والتوكل والخوف والرجاء والإنابة والتوبة وما أشبه ذلك، فهذا لا يجوز أن يشرك فيه أحد مع الله، ولا يجوز أن تقول: توكلت على فلان، كما أنه لا يجوز لك أن تقول: صليت فلان أو صلي لفلان، لأن التوكل عبادة يجب أن تخلص لله جل وعلا، وهذا قد يقع من بعض الناس يقول: توكلت عليك في كذا وكذا، وهذا خطأ يجب أن ينزه العبد لسانه منه وإن كان لا يقصد بقلبه ذلك، ويجب أن يفرق بين ما لله وما لعباده، أما الرسول من ناحية الطاعة ومن ناحية الأمر ومن ناحية الرضا، فالذي يطيع الرسول يطيع الله، لأن الرسول لا يأمر إلا بأمر

الله، ولا تكون طاعته خارجة عن ذلك، ولهذا صارت طاعته طاعة لله، كما قال جل وعلا: ﴿ومن يطع الرسول فقد أطاع الله﴾، لأنه كما قال الله جل وعلا: ﴿لا ينطق عن الهوى﴾، فالعبادة منها الطاعة، ولهذا تفسر العبادة بالطاعة، امتثال الطاعة على وجه الخوف والذل، ولكن إذا كانت للرسول ﷺ فهي لا تخرج عن طاعة الله جل وعلا، وقوله جل وعلا: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾، يعني نستوي بها نحن وأنتم، وهي ألا نعبد إلا الله، فالعبادة بالنسبة للخلق كلهم يجب أن تكون لله، وكلهم فيها سواء، ومعنى سواء أنهم كلهم يعبدون الله، ولا يجوز أن يجعلوا شيئا منها لمخلوق، وليس معنى أنهم سواء أنهم يستوون في درجة العبادة، فهم يختلفون اختلاف كبير جدا في هذا، ولكن معناه أن العبادة يجب أن تصدر منهم لله وحده، ولهذا قال: ﴿ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا﴾، فهذا الذي يلزم العباد، يلزمهم أن يعبدوا الله وحده ولا يشركوا به شيئا، وهم في هذا كلهم سواء، لأن الأمر شملهم جميعا، ويجب أن تكون عبادتهم لله وحده، فلا يكون بعضهم عبيدا لبعض، ولهذا قال: ﴿ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله﴾، أربابا من دون الله هنا يعني هذه الكلمة أربابا من دون الله، قد يتعلق بها أهل الباطل، يقولون: أنتم تقولون: أن التوحيد ينقسم إلى قسمين، توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية، وهنا عبر عن توحيد الإلهية بالربوبية مما يدل على بطلان قولكم، هكذا

يقولون، كما يقول الدجوي في رسائله وكتبه التي يرد بها الحق، وهي في الواقع لها نصيب من اسمه، من الدجى الذي هو الظلام، وهي مظلمة لأنها دعوة إلى الشرك، لكن هذا يأتي من الألفاظ التي تتعاقب، ومعنى تتعاقب أن كل واحد منهما إذا جاء مفردا يدخل فيه الآخر، مثل التقوى والبر و الإيمان والإسلام، والفقير والمسكين وما أشبه ذلك، وهي كثيرة في اللغة، فهذه إذا اجتمعت افترقت، يعني افترق المعنى، وإذا تفرقت اجتمعت، يعني إذا جاء أحد هذه الألفاظ وحده دخل فيه المعنى الآخر، أما إذا جاءت مجتمعة فلكل واحد معنى، كما فسر الرسول ﷺ الإسلام بشيء والإيمان بشيء لما جاءت مجتمعة، وكذلك ما قال الله ﷻ: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾، صار المساكين غير الفقراء في هذا لأنها اجتمعت، ولهذا فسر العلماء الفقراء بأنهم هم الذين لا يجدون الشيء من الكفاية، وأما المساكين الذين يجدون بعض الكفاية ولا يجدونها كلها، ككفاية نصف السنة مثلا وما أشبه ذلك، بدليل أن الله جل وعلا أخبر في قصة موسى مع صاحبه الذي هو الخضر أن المساكين لهم سفينة، ﴿أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر﴾، فمساكين وعندهم سفينة، فدل على أن الفقير أشد حاجة من المسكين، وغير هذا، المقصود أن هذا من الألفاظ التي إذا جاءت مجتمعة فكل واحد منها تفسير ومعنى، ومثلها الإله والرب، الله والرب، ولهذا جاء في الحديث أن الإنسان إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وهو يسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فأجلساه وسألاه يقولان له:

من ربك وما دينك وما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فمعنى من ربك هنا من الذي تعبده؟ من هو إلهك الذي تعبده؟ وهذا كثير يأتي، فلا يشكل علينا مثل هذا أو يشبه علينا مشبه في مثل هذه الألفاظ، فقوله: ﴿ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا﴾، لأن الرب هو الذي يستحق الطاعة والعبادة وأن يكون هو الآمر الناهي، وهو الذي يشرع، وهو الذي له الحكم، أما إذا نازعه منازع في الحكم في التشريع، فمعنى ذلك أن هذا صار شريكا لله جل وعلا، تعالى الله وتقدس عن ذلك: ﴿فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾، يعني ادعوهم إلى هذه الكلمة، فإن أبوا فأشهدوهم على أنكم مستسلمون لله منقادون له مخالفون لهم في نهجهم وفي دعواهم، قوله جل وعلا: ﴿ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله﴾، فجعل الإيتاء لله وللرسول، ومعلوم أن إيتاء الله غير إيتاء الرسول، ﴿قالوا حسبنا الله سيؤتينا الله ورسوله من فضله﴾، فجعل الحسب خاص لله، قالوا: حسبنا الله، هل جاء حسبنا الله وحسبنا الرسول؟ حسبنا الله وحده، لأن الحسيب هو الكافي، والكافي هو الله جل وعلا، أما الإيتاء فيصح أن يكون أيضا من الرسول، وكل واحد له إيتاء يخصه، فإيتاء الرسول وإيتاء المخلوق هو سبب، وإلا فالحقيقة أن الإيتاء من الله، ولهذا كان ﷺ يقول: «أنا قاسم ولست معطي»، فالمعطي هو الله وإنما أقسم، يعني يقسم الشيء الذي أتاني من الله، لهذا يقول جل وعلا: ﴿وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم

الموت﴾، فهذا من فضل الله، يرزقنا ربنا ثم يأمرنا أن ننفق من رزقه الذي رزقنا فيثيبنا على هذا، هل يوجد مخلوق بهذه الصفة يعطيك العطا ثم يقول لك: تصدق منه حتى أثيبك على ذلك؟ فهذا فضل الله جل وعلا، ولكن الإيتاء يصح أن يكون من الله ومن الرسول، وأما الحسب فيجب أن يكون لله وحده، لأن الحسب هو الكافي وهو معنى التوكل، ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾، الآية تدل على العموم، آتاكم سواء كان من أمر الله ودينه وشرعه، أو كان شيء من أمور الدنيا، أعطانا إياه يجب علينا أن نأخذه، لأنه لا يكون إلا حبا، ولهذا أنكر ﷺ على الذي لما أعطاه قال: أعطه غيري قال: «لا، إلا جاءك شيء من هذا المال غير مستشرف له فخذه»، تموله وإلا فاصنع به ما تشاء، وأما الحسب وهو الكافي فهو الله وحده جل وعلا، كما قال تعالى: ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾، والمعروف أن الآية هذه نزلت في قصة أحد، لما صار الكفار صاروا في فريق تلاوموا فيما بينهم قالوا: أنهكنا شوكة القوم ولم نجهز عليهم ولم نأت المدينة فنسبي النساء ونأخذ الأموال، فلنرجع، فلقيهم من لقيهم، فأتوهم وكان أميرهم كما هو معروف أنه أبو سفيان فقال: بلغ محمدا أننا رجعنا الكرة إليهم لنستأصلهم ونأخذ أموالهم ونسبي نسائهم، فلما بلغهم هذا الأمر قال الرسول ﷺ: «قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل»، فقالوها: حسبنا الله ونعم الوكيل، ولهذا يقول ابن عباس رضي الله عنه: هذه الكلمة قالها

الخليلان في أشد المواقف وأحرجها، إبراهيم قالها لما ألقي في النار فأنجاه الله جل وعلا منها، ومحمد ﷺ قالها حينما قال له الناس: إننا راجعون إليكم وقاتلون بقيتكم وآخذين أموالكم، فكفاهم الله جل وعلا ذلك، ثم ندبهم صلى الله عليه وسلم إلى الذهاب إلى القوم والمسير خلفهم وقال: «لا يخرج إلا من حضر الوقعة»، خرجوا على ما فيهم من الجراحات وما فيهم، فألقى الله جل وعلا الرعب في قلوب الكفار وهربوا، لهذا قال: ﴿فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء﴾، فهو نصر الله إذا انقاد العبد لربه جل و علا وأطاعه وتوكل عليه كفاه، وقال جل وعلا: ﴿يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك﴾، يعني وحسب أتباعك، وأنكر الشيخ رحمه الله على من يقول: إن المعنى حسبك الله وحسبك أتباعك، فإن هذا منكر لأن هذا من الشرك، فالحسب يجب أن يكون لله وحده، فلا يكون لا للرسول ولا لملك ولا لغيره، وإنما هو لله جل وعلا، فهذا من الخصائص التي يجب أن يخص بها رب العالمين، فهو كما قال الله ﷻ: ﴿أليس الله بكاف عبده﴾، قل: بلى هو الكافي جل وعلا وحده، ثم قال: وتحرير ذلك أن العبد يراد به العبد المعبد المذلل المسخر الذي تجري عليه أقدار الله جل وعلا، فهذا لا يمكن أن يخرج عنه أحد، المؤمن والكافر والبر والفاجر، أهل الجنة وأهل النار، كلهم عبيد مذللون مقهورون تجري عليهم أحكام الله جل وعلا وأقداره راغبين أو أنهم راغمين، فلابد فمن كان مثلا يرضى ويصبر فله الأجر، ومن كان يأبى ويتسخط فله السخط وعليه الوزر، لأن الخلق كلهم

عبيد الله يتصرف فيهم كيف يشاء جل وعلا، أما إذا كان العبد بمعنى عابد فهذا الذي ينفع، فإذاً العبد يكون عبد بمعنى معبد مذلل، ويكون عبد بمعنى عابد خاضع ذال، يعني يجري الفعل منه وليس من الله، فإذا كان من الله فهذا يكون عاما على كل أحد، أما إذا كان معنى العبد أنه هو عبد وذل وخضع، وهذا لابد أن يكون بامتثال الأمر الذي جاء به الرسول، فهذا هو الذي ينفع وهو الذي يكون مطيعا لله جل وعلا ويكون ناجيا، وهذا الفرق يقال: لأن بعض الناس الذي ضلوا في هذا مثل فريق من أهل التصوف وغيرهم، زعموا أن الإنسان ما يخرج عن طاعة الله، من خرج عن طاعة الأمر فهو داخل في طاعة القدر، ولهذا يقول أحدهم: أصبحت منفعلا لما يراد بي ففعلي كله طاعات، وهذا مذهب أصحاب الوحدة أو الاتحاد، وهؤلاء أشر الناس نسأل الله العافية، وإن زعموا أنهم من العارفين، فالوحدة هي وحدة الوجود، والاتحاد زعموا أن الخالق اتحد مع المخلوق، كما تقول النصارى: حل اللاهوت بالناسوت، فهؤلاء دينهم شبيه بدين النصارى، فيزعمون أن الله في كل مكان، تعالى الله وتقدس، ثم يقولون: إننا لا نخرج عن الطاعة، حتى قال من يزعمون أنهم عارفهم وسيدهم ومقدمهم لما أنكر عليه هذا قال له رجل: قولك هذا يدل على أنه لا فرق بين الخمر والماء، قال: وهو كذلك، ولكن هؤلاء المحجوبون لما قالوا: هذا حرام، قلنا: عليكم، أما نحن فليس هناك شيء علينا حرام، لأننا وصلنا إلى الحقيقة وعرفنا حقائق الأمور، فقال له: إذاً ما الفرق بين

الزوجة والأم؟ قال: لا فرق، ألحد نسأل الله العافية، فهو ضلال منتهي الشيطان ما وصل إلى هذا الضلال، وهذا من عجائب بني آدم، فإن ابن آدم من أعجب الأشياء، أفكاره وسلوكاته وقد يكون مثلا في مصاف الملائكة، وقد يكون الشيطان يقصر عن عمله، ما يستطيع أن يصل إلى ما وصل إليه، يعني يأتي بدقائق كفر ما استطاع الشيطان أن يعرفها، فهو من أعجب المخلوقات، ولهذا يقول الله ﷻ: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين﴾، ليس معنى أسفل سافلين أنه يرد في جهنم فقط، وجهنم هي أسفل سافلين، ولكن حتى في أخلاقه وفي سلوكاته، يكون أسوأ من الكلاب، الكلاب والحيوانات تكون خيرا منه، فإذا هداه الله جل وعلا وتولاه، فإنه يكون من أفضل المخلوقات، وإلا صار شر المخلوقات، ولهذا جعلت له النار، نسأل الله العافية، التي هي شر قرار نسأل الله العافية، فهو سبحانه جل وعلا رب العالمين وخالقهم، وهو إلههم ومعبودهم جل وعلا، والمعرفة يجب أن تكون بالوحي، والتفريق يجب أن يكون بالوحي، والعبادة يجب أن تكون بالوحي، فيجب أن يكون الوحي هو الذي يسترشد به، ويستدل به، لا العقل ولا السلوك ولا المناهج التي يكون لها أرباب ولها قواعد تقعد لبعض الناس، فإذا اعترف العبد أن الله ربه وخالقه، وأنه أيضا إلهه ومعبوده، يكون قد سلك الطريق الذي خلق له، وسلك طريق السعادة، فالعبودية هي حاله، وهو لا يخرج عن العبودية، لا يمكن أن يقول: أنا حر لا تجري علي عبودية، هذا

مستحيل، ولكن إذا خرج عن عبودية الله دخل في عبودية المخلوق الذي هو نظيرة ولابد، إما أن يكون عبدا لشهواته عبدا لبطنه وفرجه، أو يكون عبدا لرئيسه، أو قد يكون عبدا للعبته التي يلعبها، ويذهب عمره فيها بدون طاعة، فلابد أن يكون عبد، ثم النتائج تختلف، ولهذا في صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميلة والخميصة، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش»، فسماه عبدا للدينار والدرهم، وعبدا للملبوس والموطوء الذي يوطأ بالقدم، وبين أن معنى عبوديته لذلك بقوله: «إن أعطي رضي وإن منع سخط»، يعني أنه يعمل لهذه الأشياء، وليس المعنى أنه يسجد للدينار ويصلي، أو الدرهم أو الخميلة والخميصة، ولكنه يعمل من أجلها، عمله لأجله، لا يعمل لله جل وعلا، ولهذا صار عبدا له، فالمقصود أن الإنسان لا يخرج عن العبودية، ولكن من عدل الله جل وعلا أن العبد إذا خرج عن عبوديته جعله عبدا لنظيره، لمن هو مثل أو أحقر منه، والله جل وعلا يقول: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾، فالهوى يكون إله مألوه للإنسان، إذا اشتهى شيء فعله سواء يكون موافقا للحق أو مخالفا لا يبالي، وهذا الذي يزعم أنه حر، وفي الحقيقة ليس حرا، بل هو مكبل بالقيود، وسوف يرجع إلى ربه جل وعلا، ثم يحاسبه ويجزيه بعمله، وقوله: فإن المشركين كانوا يقرون أن الله خالقهم ورازقهم، هذا تقدم أنهم إذا سؤلوا من الذي خلقهم؟ قالوا: الله، وقوله جل وعلا في هذا في آيات عدة،

أنهم إذا سؤلوا عن المخلوقات يقرون بأن الله هو الذي خلقها وهو المتفرد بها نعم.

القارئ: قال رحمه الله تعالى: [وَمثل هَذِه الْعُبُودِيَّة لَا تفرق بَين أهل الْجنَّة وَأهل النَّار وَلَا يصير بهَا الرجل مُؤمنا كَمَا قَالَ الله تَعَالَى [١٦٠ يُوسُف] : ﴿وَمَا يُؤمن أَكْثَرهم بِاللَّه إِلَّا وهم مشركون﴾ فَإِن الْمُشْركين كَانُوا يقرونَ أَن الله خالقهم ورازقهم وهم يعْبدُونَ غَيره قَالَ تَعَالَى [٢٥ لُقْمَان] : ﴿وَلَئِن سَأَلتهمْ من خلق السَّمَاوَات وَالْأَرْض ليَقُولن الله﴾ وَقَالَ تَعَالَى [٨٤-٨٩ الْمُؤْمِنُونَ] ﴿قل لمن الأَرْض وَمن فِيهَا إِن كُنْتُم تعلمُونَ ۝ سيقولون لله قل أَفلا تذكرُونَ ۝ قل من رب السَّمَاوَات السَّبع وَرب الْعَرْش الْعَظِيم ۝ سيقولون لله قل أَفلا تَتَّقُونَ ۝ قل من بِيَدِهِ ملكوت كل شَيْء وَهُوَ يجير وَلَا يجار عَلَيْهِ إِن كُنْتُم تعلمُونَ ۝ سيقولون لله قل فَأنى تسحرون﴾ .

وَكثير مِمَّن يتَكَلَّم فِي الْحَقِيقَة فيشهدها لَا يشْهد إِلَّا هَذِه الْحَقِيقَة وَهِي الْحَقِيقَة الكونية الَّتِي يشْتَرك فِيهَا وَفِي شهودها وَفِي مَعْرفَتهَا الْمُؤمن وَالْكَافِر وَالْبر والفاجر بل وإبليس معترف بِهَذِهِ الْحَقِيقَة وَأهل النَّار].

الشيخ: المقصود بالحقيقة هنا الوصول إلى حقيقة هذا الأمر بالنظر والعلم، ثم تطبيقها أن يطبقها كذلك، يطبقها بالعمل بالفعل، هذه لا تجعل الإنسان مسلما،

فضلا أن تكون توصله إلى مصاف العارفين بالله جل وعلا و أهل المقامات، لأن الكفار كلهم فيما ذكر الله جل وعلا في دعوة الرسل يقرون بها، يعترفون أن الله هو ربهم الخالق لهم، والرازق والذي خلق السماء وخلق الأرض وهو الذي ينبت النبات وغيره، أما الشذاذ من بني آدم كالطغاة الكبار مثل النمرود ومثل فرعون فهم ينكرون هذا، ولكنهم في قرارة أنفسهم معترفون به، ولهذا لما أدرك فرعون الغرق الذي يقول: أنا ربكم الأعلى، ما علمت لكم من إله غيري، لما أدركه الغرق قال: ﴿آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرايل وأنا من المسلمين﴾، فقيل له: الآن، الآن لا يفيد لأنك الآن وقعت في الموت، إذا وقع الموت ما يفيد الرجوع والتوبة، إذا تحقق الموت فلا يفيده ذلك، كذلك النمرود الذي قال له إبراهيم: ربي الله الذي يحيي ويميت، قال: أنا أحيي وأميت، وهذه من المغالطات، يعني آمر بهذا فيقتل وأعفوا عن هذا، فهذا عنده الحياة والموت، لذلك لما رأى إبراهيم عليه السلام أن هذه مغالطة عدل عن هذا إلى شيء لا يستطيع أن يغالط فيه، فقال: إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأتي بها من المغرب، فبهت الذي كفر، فهذه أيضا دليل على عجزه وعلى أنه مقهور مسخر، فباءت دعوته بالفشل وتبين كذبه في ذلك، فالمقصود أن هذا أمر أجمع عليه أهل الأرض، أن الشاب الذي ينكره مثل هؤلاء فلا عبرة فيه، لأنه إنكار للواقع، ومعلوم أن كثيرا من الناس رعاء يتبعون كل ناعق، ولاسيما إذا كان عنده قوة، لهذا لما قال لهم فرعون: أنا ربكم الأعلى، اتبعوه، ولما قال لوزيره: ﴿أوقد لى يا

هامان على النار وابنى لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب ﴿ أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه كاذبا ﴾، لأن موسى عليه السلام أخبره أن الله في السماء، هل يمكن أن يكون عاقل عنده شيء من العقل ما هو العقل الكامل، يصدق أن رجل يبني بناء ثم يصل إلى السماء بهذا البناء، لولا المعالطات وقلب الحقائق وجعل الباطل بمنزلة الحق، ثم يصدق، والناس في هذا يدركون هذه الأمور يعرفونها، يقولون: أنه كان فيه رجل كان فقيرا، كان له أصحاب، فيقولون: يجتمعون على أكل، فاعتذر مرة لأنه ما وجد أكل فاعتذر لهم، قال: الأكل الذي أردت أن آتي به أكله الفأر، قالوا: تكلموا عليه وزجروه كذاب الفأر ما يأكله، فقدر أنه اغتنى صاروا يقدرونه فصار يوم أراد أنه يبين لهم أن أفعالهم أنها حسب أهواءهم، فقال: أنا عندي حديدة كبيرة أكلها الفأر، قالوا: يمكن الفأر يأكلها، قال: يمكن لما صار عندي المال، أما قبل فلما قلت لكم: الطعام أكله الفأر قلتم لا كذاب، والآن صار ممكن، فالمقصود أن طبيعة الناس هكذا، يتبعون القوي، يتبعون الذي يكون له سلطة عليهم وما أشبه ذلك، وإن كانوا في قرارة أنفسهم لا يصدقون ذلك، نعم.

يعني يقول: حتى إبليس يعترف بالربوبية لأنه قال: ﴿ رب فأنظرنى إلى يوم يبعثون ﴾، يعني يطلب من ربه، إبليس كان عارفا بهذا، ولهذا يقول العلماء: إن إبليس هو أعرف من بعض الناس بربه جل وعلا، ويقول: ﴿ رب بما أغويتنى

لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين﴾، غير أنه نسب الإغواء إلى ربه جل وعلا، والواقع أنه هو الذي غوي هو الذي اختار الضلال، لأن الله لما أمره بالسجود يستطيع السجود، ولكن أبى، لهذا سجدت الملائكة وهو أبى، لما سأله ربه لماذا لم تسجد كما سجدت الملائكة؟ قال: أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين، يعني المفروض أن الأمر هذا ينعكس أنه هو يسجد لي، فهو اعتراض على الله فهو جعل نفسه كأنه يحكم على ربه جل وعلا تعالى الله وتقدس، ولهذا باء بالخزي وإرادة الله جل وعلا إذا أراد أن يمنع ا لهدى عن أحد، فلا ينفع العلم، العلم لا ينفع، نعم.

القارئ: قال رحمه الله تعالى: [قَالَ إِبْلِيس [٣٦ الْحِجر، ٩٧ ص] : ﴿رب فأنظرنى إِلَى يَوْم يبعثون﴾ و [٣٩ الْحِجر] : ﴿قَالَ رب بِمَا أغويتنى لأزينن لَهُم فِى الأَرْض ولأغوينهم أَجْمَعِينَ﴾ وَقَالَ [٨٢ ص].

الشيخ: هذا قسم منه، يقسم بأنه سوف يزين لهم في الأرض ويغويهم أجمعين، وهو مثل قوله: ﴿لأحتنكن ذريته﴾، يعني أجعلهم تحت حنكي أتصرف فيهم، وقال الله جل وعلا: ﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنه﴾، ظنه الذي ظن صدق به، فأكثرهم أطاعوه واتبعوه،نعم.

القارئ: وقال: [وَقَالَ [٦٢ الْإِسْرَاء] : ﴿أرأيتك هَذَا الَّذِى كرمت عَلىّ لَئِن أخرتن إِلَى يَوْم الْقِيَامَة لأحتنكن ذُرِّيَّته إِلَّا قَلِيلا ﴾].

الشيخ: علم أن منهم من لا يطيعه ويكون مؤمنا، ولا يكون له عليهم سلطان، وهم عباد الله الذي استثناهم، ولكن هذا فضل من الله، وفضل الله جل وعلا يطلب منه، وله طرق وله أسباب، من ترك الأسباب لم يتحصل على ذلك، أسبابها أولا: القبول عن الله جل وعلا، ثم الرغبة بما عند الله جل وعلا بالدعاء والخضوع والذل، نعم.

القارئ: [وأمثال هَذَا من الْخطاب الَّذِي يقر فِيهِ بِأَن الله ربه وخالقه وخالق غَيره وَكَذَلِكَ أهل النَّار].

الشيخ: يعني أن الربوبية لم ينكرها أحد، الربوبية معناها معنى الرب هو الخالق المتصرف، المدبر، هذا معنى الرب في اللغة، أما الله فمعناه ذو الإلوهية والعبودية، على خلقه أجمعين كما قال ابن عباس، هذا قول ابن عباس الله ذو الإلوهية، يعني صاحب الإلوهية، والعبودية على خلقه أجمعين، يعني كلهم يجب أن يألهوه ويعبدوه، ففرق بين الله وبين الرب، وفرق، والإله مأخوذ من الله، فالله أصله إله، أصل الله كما يقول أهل اللغة إله، دخل عليه التصريف فصار الله، ثم فخموه أدخلوا عليه اللام صار الله نعم.

القارئ: [﴿رَبنَا غلبت علينا شِقْوَتنَا وَكُنَّا قوما ضَالِّينَ﴾].

الشيخ: يعني أهل النار يعترفون بذلك نعم.

القارئ: [وَقَالَ تَعَالَى عَنْهُم [٣٠ الْأَنْعَام] : ﴿وَلَو ترى إِذْ وقفُوا على رَبهم قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بلَى وربنا﴾] .

الشيخ: هذا بالحق الإشارة إلى أيش أليس هذا بالحق؟ الإشارة إلى ما هم فيه، فالحق في اللغة الشيء الثابت المستقر، يعني هذا الذي جاءتكم به الرسل بأخباره فهو الحق الذي تشاهدونه، ولهذا قالوا: بلى وربنا هو الحق، ولكن لا تفيد هذه الاعترافات نعم.

القارئ: [فَمن وقف عِنْد هَذِه الْحَقِيقَة وَعند شهودها وَلم يقم بِمَا أَمر الله بِهِ من الْحَقِيقَة الدِّينِيَّة الَّتِي هِيَ عِبَادَته الْمُتَعَلّقَة بإلوهيته وَطَاعَة أمره وَأمر رَسُوله كَانَ من جنس إِبْلِيس وَأهل النَّارِ].

الشيخ: الحقيقة يعني الحقيقة الربوبية يعني حقيقة كون الأشياء كلها بتصريف الله جل و علا وتدبيره لخلقه وإيجاده هذه حقيقة، ولكن الاعتراف بهذه والوصول إليها لا يجدي، مع أنه لابد منها، ولكن لابد أن يضاف إليها أيضا المعرفة بالعبودية والإقرار بها، والعمل بها، نعم.

القارئ: [فَإِن ظن مَعَ ذَلِك أَنه من خَواص أَوْلِيَاء الله وَأهل الْمعرفَة وَالتَّحْقِيق، الَّذين سقط عَنْهُم الْأَمر وَالنَّهْي الشرعيان، كَانَ من أشر أهل الْكفْر والإلحاد].

الشيخ: لا يسقط الأمر والنهي عن أحد من الناس ما دام عقله مستقر عنده، فالأوامر التي جاءت عن الله يجب أن تعمل وأن يفعل ويجب أن تمتثل حسب الاستطاعة، هذا من فضل الله حسب الاستطاعة، لهذا يخطئ كثير من المسلمين، يخطئون ويقعون في الخطأ أقصد بذلك المرضى الذين يقعون في المرض ويعملون عمليات يقول: لا أصلي حتى أبرأ، فلا يصلي، يقول: أنا ما أستطيع أتوضأ ولا أستطيع أقود ولا أستطيع أسجد، يجب عليك أن تصلي حسب استطاعتك، إذا ما تستطيع أن تتوضأ تتيمم، وإذا ما تستطيع تتيمم تصلي حسب الاستطاعة، ولو بنيتك، فما دام العقل موجود الصلاة لا تسقط بحال من الأحوال، فإذا غاب العقل فلا تكليف، نعم.

القارئ: [وَمن ظن أَن الخَضِرَ وَغَيره سقط عَنْهُم الْأَمر لمشاهدة الْإِرَادَة وَنَحْو ذَلِك، كَانَ قَوْله هَذَا من شَرّ أَقْوَال الْكَافرين بِاللَّهِ وَرَسُوله].

الشيخ: يقصد بهذا الذين استدلوا بقصة الخضر على أنه غير مكلف، لأن الخضر خرب السفينة، شال منها لوح، وإذا شيل اللوح دخلها الماء غرقت، وكذلك قتل صبيا، وجده يلعب مع الأطفال فقتله، وهذا معناه يقول: أنه سقطت عنه التكاليف، وإلا ما يجوز قتل الصبي، وقالوا أنه أيضا بنى الجدار الذي أراد أن

ينقض، مع أنه أساءوا إليه أهل القرية، ولم يضيفوهم والضيافة حق يجب أن تقدم لصاحبها، فإذا لم تقدم ضيافته فله أن يأخذ بقدر حقه من أمواله، ولو لم يعلم ذلك، لأنه حق له، فهو عكس القضية، مما يدل يقولون: كل هذا يدل على أنه سقطت عنه الأوامر، وهذا ضلال واضح، فقد فسر موسى عليه السلام أفعاله هذه أنها أمور ما خرجت عن طاعة الله، يقول: ما فعلته عن أمري، وهذا يدل على أنه نبي، وأنه يوحى إليه نعم.

القارئ: [كَانَ قَوْله هَذَا من شَرّ أَقْوَال الْكَافرين بِاللَّهِ وَرَسُوله، حَتَّى يدْخل فِي النَّوْع الثَّانِي من معنى العَبْد، وَهُوَ العَبْد بِمَعْنى العابد، فَيكون عابدا لله، لَا يعبد إِلَّا إِيَّاه، فيطيع أمره وَأمر رسله، ويوالي أولياءه الْمُؤمنِينَ الْمُتَّقِينَ ويعادي أعداءه].

الشيخ: ومن هنا يتبين أن التوحيد ينقسم إلى قسمين، توحيد عبادة وتوحيد ربوبية، فتوحيد العبادة توحيد الله بفعل العبد، وفعل العبد يجب أن يكون بامتثال الأمر الذي جاء به الرسول، وتوحيد الربوبية يكون بعبادة الله بأفعاله هو، الخلق والإيجاد والتصرف والإحياء والإماتة أنه متفرد بهذا، وأنه لا يشاركه أحد، هذا توحيد أي أنه واحد في هذه، كما أنه يجب أن يكون العبادة له وحده كله توحيد، ولابد أن يضاف إلى هذا توحيد الأسماء والصفات، لأنها خاصة به لا يشاركه فيها أحد وهو واحد فيها، فهذه الأقسام الثلاثة أمر

ضروري والأدلة عليها واضحة، كما قال الله جل وعلا: ﴿قل أعوذ برب الناس ملك الناس﴾، رب الناس يدل على توحيد الربوبية، ملك الناس دليل على توحيد الأسماء والصفات، لأنه قال: ﴿إله الناس﴾، والدليل على توحيد الإلهية وهذا كثير في القرآن، ولكن هؤلاء الذين ينكرون هذا يريدون أن ينص على هذا الشيء، يقول: توحيد الربوبية كذا وكذا، وهو واضح والصحابة ما يحتاجون إلى هذا، لأنهم أهل اللغة ويعرفونه، أما الذين بعد عهدهم عن لغة الرسول ﷺ وعن بيانه للحق، وقد يشكل عليهم نعم.

القارئ: [وَهَذِه الْعِبَادَة مُتَعَلقَة بالإلهية لله تَعَالَى وَلِهَذَا كَانَ عنوان التَّوْحِيد لَا إِلَه إِلَّا الله].

الشيخ: ومعنى لا إله إلا الله كما هو معلوم، أنه لا يعبد ويأله إلا الله وحده، وسبق أن قلت لكم: أن إله أنه اسم جنس، وهذا باتفاق أهل اللغة لا يخالف فيه أحد، اسم جنس، ولهذا صح هذا النفي والاستثناء، إذا كان لا يصح إلا أن يكون اسم جنس، اسم الجنس هو الشائع في نوعه، الإله يطلق على الإله الحق والإله الباطل، لهذا صار النفي والإثبات للحصر، حصر التأله في الله جل وعلا، وإذا وجد هذا بطلت إلهية غيره، فالمشركون يتخذون آلهة كثيرة، لهذا لما قال لهم الرسول ﷺ: «قولوا لا إله إلا الله»، أنكروا ذلك وقالوا: أجعل الآلهة إله واحد، الآلهة جمع إله، آلهة جمع إله عندهم، جعلها إلها واحدة، يعني جعلها

لله وحده، قالوا: ﴿إن هذا إلا اختلاق﴾، يعني كذب، لأنهم يريدون أن يبقوا على ما كان عليه آلهتهم، ثم لما أخبرهم أن هذا باطل وأنه خلاف الحق قالوا: سب آبائنا وشتمهم وسفه أحلامنا، والواقع أن أحلامهم سفيهة، والرسول ما بعث شتاما ولا لعانا ولا طعانا، ولكن هم جعلوا ذلك شتما وطعنا، لأنه بين أنهم في ضلال، والمقصود أن الإلهية غير الربوبية نعم.

القارئ: [بِخِلَاف من يقر بربوبيته وَلَا يعبده أَو يعبد مَعَه إِلَهًا آخر. فالإله هُوَ الَّذِي يألهه الْقلب بِكَمَال الْحبّ والتعظيم والاجلال وَالْإِكْرَام وَالْخَوْف والرجاء وَنَحْو ذَلِك.

وَهَذِه الْعِبَادَة هِيَ الَّتِي يُحِبهَا الله ويرضاها وَبهَا وصف المصطفين من عباده وَبهَا بعث رسله].

الشيخ: المصطفين ولا المصطفين، لأنه لا يقصد بذلك الرسل، يقصد كل من تفضل الله عليه وهداه إلى عبادته جل وعلا، نعم.

القارئ: [وَأما العَبْد بِمَعْنى المعبّد سَوَاء أقرّ بذلك أَو أنكرهُ فَهَذَا الْمَعْنى يشْتَرك فِيهِ الْمُؤمن وَالْكَافِر. وبالفرق بَين هـذَيْن النَّوْعَيْنِ يعرف الْفرق بَين الْحَقَائِق الدِّينِيَّة الدَّاخِلَة فِي عبَادَة الله وَدينه وَأمره الشَّرْعِيّ الَّتِي يُحِبهَا ويرضاها ويوالى أَهلهَا ويكرمهم بجنته وَبَين الْحَقَائِق الكونية الَّتِي يشْتَرك فِيهَا الْمُؤمن وَالْكَافِر

وَالْبر والفاجر الَّتِي من اكْتفى بهَا وَلم يتبع الْحَقَائِق الدِّينِيَّة كَانَ من أَتبَاع إِبْلِيس اللعين والكافرين بِرَبّ الْعَالمين وَمن اكْتفى فِيهَا فِي بِبَعْض الْأُمُور دون بعض أَو فِي مقَام [دون مقَام] أَو حَال [دون حَال] نقص من إيمَانه وولايته لله بِحَسب مَا نقص من الْحَقَائِق الدِّينِيَّة وَهَذَا مقَام عَظِيم غلط فِيهِ الغالطون وَكثر فِيهِ الِاشْتِبَاه على السالكين حَتَّى زلق فِيهِ من أَكَابِر الشُّيُوخ المدّعين للتحقيق والتوحيد والعرفان مَا لَا يحصيهم إِلَّا الله الَّذِي يعلم السِّرّ والإعلان].

الشيخ: يعني يقصد بذلك أهل التصوف أو بعضهم، الذين زعموا أنهم هم العارفين، ولكنهم في الواقع ضلوا في توحيد الله، وصاروا يقعون في الشرك الظاهر البين، فيدعوا بعضهم بعضا، ويقولون: أن هذه هي الحقيقة التي يجب أن يوصل إليها، وهي أن الله جل وعلا هو الذي يصرف العبد، فإذا لم يطع العبد الأمر الذي جاء به الرسول، فقد أطاع القدر الذي قدره الله، ونحن نتقلب في أقدار الله وفي طاعة، وهذا الذي يرضاه الشيطان ويريده، لأن هذا الضلال إذا وصل إليه العبد يصعب إرجاعه إلى الحق نعم.

القارئ: [وَإِلَى هَذَا أَشَارَ الشَّيْخ عبد الْقَادِر رَحمَه الله فِيمَا ذكر عَنهُ فبيّن أَن كثيرا من الرِّجَال (إِذا وصلوا إِلَى الْقَضَاء وَالْقدر أَمْسكُوا إِلَّا أَنا فَإِنِّي انفتحت لي فِيهِ روزنة فنازعت أقدار الْحق بِالْحَقِّ للحق وَالرجل من يكون منازعا للقدر لَا من يكون مُوَافقا للقدر].

الشيخ: هو الشيخ عبد القادر الجيلاني ليس هو من العلماء الكبار الذي مثلا، ولكن لما كان الناس يقدمونه، لأنه جعلوا له هالة كبيرة من الذين صنفوا فيه مصنفات، وذكروا له كرامات كثيرة، فصار هذا دعوة إلى عبادته نسأل الله العافية، وكثير من الناس لا يكتفي بالحق، ويكون الباطل معجبا له، وصار له بهذا المعنى من يعظمه ويذهب إلى قبره ويطوف به ويعبده، فقبره معبود من أكبر المعبودات وهو في العراق، ثم انتشر الأمر حتى وصل إلى أقطار شتى، ويعجب الإنسان إذا كان مثلا معبودا في العراق فإنه معبود في الهند والباكستان، وكذلك بعض إفريقيا وفي الشام وفي غيرها من البلاد، وكل فريق يدعي أنه عندهم، حتى قال لي بعض الذين ذهبوا للدعوة في الهند، يقول: التقيت بمشرك كبير، فأردت أن أدعوه فقال: أنا مقتنع بما أنا فيه، أنا من أتباع عبد ا لقادر الجيلاني، قلت: هذا شرك بالله أنك تدعوه وتستنجد به في الشدائد وغيرها، فقال: لا تكلمني أنا مقتنع بما أنا فيه، لأني وجدت ذلك بالفعل، قال: فقلت له: كيف وجدت ذلك؟ قال: أنا ذهبت أنا واثنين معي إلى بلد كذا في الهند، يقول: فصار الوقت باردا شديد البرد ولم نجد من يؤوينا، كاد البرد يقتلنا، فاستغثنا بعبد القادر فجاءنا ببطانيات وتلحفنا بها واتقينا بها البرد، هذا يقول: اقتنعت، يقول: فقلت له: هذا الذي جاءك شيطان أراد أن يضلك سرق البطانيات من أحد الحوانيت وجاءك بها حتى تقتنع بهذا، ولكنه لم يجدي معه الكلام، فنسأل الله العافية من هذا، يعني العقول تذهب وإلا كيف مقبور في

العراق يأتيك ببطانيات؟ حي وخرج من قبره حيا وجاءك؟ يقول: نعم يخرج لأنه ولي من الأولياء، فيكابرون، يكابرون العقول والواقع، وكل هذا ضلال بين واضح، فالمقصود أن الشيخ لما ذكر لأنه مشهور عند الناس، ويريد أن يبين أنه ليس على ما يقولون: أنه من الذين يدعون إلى عبادته، كما يفعله بعض الصوفية، كما يذكر الشعراني في كتابه الذي سماه طبقات الأولياء، ويذكر عن بعض سادته يقول: أنه لما حضر الموت صار يوصي أصحابه يقول: يا أصحابي إذا بدا لأحدكم حاجة فليأتي إلى قبري، فلا خير فيمن يحول بينه وبين قضاء حوائج أصحابه ذراع من تراب، نسأل الله العافية، هذا دعوى إلى الشرك صريح، وهو يكون رميما تأكله الديدان فكيف يقضي حوائج أصحابه؟ ومع ذلك يصدقون، يصدقون ذلك ولاسيما إذا خرج الأمر في مثل هذا، يكتب في الكتب وتطبعه المطابع، ثم ينشر بين المسلمين، هذا من أسباب عبادة غير الله جل وعلا، والمقصود أن عبد القادر له قبر يعبد، وهو مشهور جدا في هذا، وهو ليس من الذين يدعون إلى عبادة أنفسهم، بل يتبرأ من هذا، وقد وقع له قصة ذكرها والله أعلم بصحتها، يقول: أني كنت في بادية في مسير البر، فأصابني عطش شديد كدت أن أهلك، فأظلتني غمامة، فنوديت منها: يا عبد القادر أنا ربك قد أبحت لك كل شيء، فقلت: كذبت أنت الشيطان، فقال: نفعك فقهك، كم أضللت بهذه الطريقة من الناس غيرك، وإن هذا الشيطان لأن الله جل وعلا لا يبيح المحرمات، ولا يأمر بها، فالمقصود أن الشيطان قد يأتي

للإنسان بأشياء غريبة، لأجل أن يضله، هذا الرجل المسكين الذي أهلكه الله جل وعلا بهذه طريقة الشياطين، الشياطين قد تتراءى للناس، ولأجل إضلالهم، لأنهم من أحرص ما يكون على إضلال بني آدم، فالمقصود أن ذكر الشيخ لعبد القادر ليس لأنه من الكبار المحققين، وإنما له كتب أيضا في العقيدة وفي الفقه كالغنية وغيرها، ويقول: أنه على الحق، نعم وقوله هذا قاله عمر بن الخطاب ﷺ قبل عبد القادر، عمر بن الخطاب ﷺ لما خرج بالمسلمين إلى الشام وصار في أثناء الطريق، بلغه أن الشام فيه وباء فيه الطاعون فرجع بالصحابة، فقال له أبو عبيدة: أفرار من القدر يا أمير المؤمنين؟ فقال له: غيرك قالها كان أولى، ثم قال: نعم فرار من القدر إلى القدر، ثم قال له: أرأيت إن كان لك إبل وكان هناك واد مخصب والآخر مجدب أيهما ترعى؟ فقال: أرعى المخصب، فقال: كذلك نحن لا نقدم على الوباء ونحن سالمون منه، فجاءه محمد بن مسلمة فقال: عندي في هذا علم عن رسول الله ﷺ، قال: ما هو؟ قال: إني سمعته ﷺ يقول: «إذا سمعتم به في بلد فلا تقدموا عليه، وإذا وقع وأنتم في بلد لا تخرجوا منه»، فحمد الله أنه وافق في نظره وفي رأيه وافق ما قاله الرسول ﷺ، والمقصود أنه قال: نعم نفر من القدر إلى القدر، لأن الإنسان لا يخلوا من القدر أبدا، ولكن الأقدار التي قدرها الله جل وعلا يجب أن ينظر الإنسان في الصالح له الموافق للشرع نعم.

القارئ: [وَالَّذِي ذكره الشَّيْخ رَحمَه الله هُوَ الَّذِي أَمر الله بِهِ وَرَسُوله وَلَكِن كثير من الرِّجَال غلطوا فِيهِ فَإِنَّهُم قد يشْهدُونَ مَا يقدّر على أحدهم من الْمعاصِي والذنُوب أَو مَا يقدّر على النَّاس من ذَلِك بل من الْكفْر وَيشْهدُونَ أَن هَذَا جَار بِمَشِيئَة الله وقضائه وَقدره دَاخل فِي حكم ربوبيته وَمُقْتَضى مَشِيئَته فيظنون الاستسلام لذَلِك وموافقته وَالرِّضَا بِهِ وَنَحْو ذَلِك دينا وطريقا وَعبادَة فيضاهئون الْمُشْركين الَّذين قَالُوا [١٤٨ الْأَنْعَام] : ﴿لَو شَاءَ الله مَا أشركنا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حرمنا من شَيْء﴾ وَقَالُوا [٤٧ يس] : ﴿أنطعم من لَو يَشَاء الله أطْعمهُ﴾ وَقَالُوا [٢٠ الزخرف] : ﴿لَو شَاءَ الرَّحْمَن مَا عبدناهم﴾ وَلَو هُدوا لعلموا أَن الْقدر أُمرنا أَن نرضى بِهِ وَنَصْبِر على مُوجبه فِي المصائب الَّتِي تصيبنا].

الشيخ: قول المشركين في ذلك الذي ذكره الله: ﴿قالوا لو شاء الله ما أشركنا﴾، هم يعارضون بذلك الشرع الذي جاء به الرسول ﷺ، وليس معنى ذلك أنهم يؤمنون بالمشيئة العامة الشاملة، فهم يقولون: الشرك وقع بمشيئة الله وهذا دليل على رضاه، وأنت تأمرنا أن نتركه، فهو دليل على أن قولك غير صحيح، فهم أرادوا بقولهم: لو شاء الله ما أشركنا، أن يردوا الشرع الذي جاء به المصطفى، وليس معنى ذلك أنهم يؤمنون بأقدار الله ويسلمون لها، وكذلك بقية الآيات على هذا النحو نعم.

القارئ: [وَلَو هُدوا لعلموا أَن الْقدر أُمرنا أَن نرضى بِهِ وَنَصْبِر على مُوجبه فِي المصائب الَّتِي تصيبنا كالفقر وَالْمَرَض وَالْخَوْف قَالَ الله تَعَالَى [١١ التغابن] : ﴿مَا أصَاب من مُصِيبَة إِلَّا بِإِذن الله وَمن يُؤمن بِاللَّه يهد قلبه﴾ قَالَ بعض السّلف: هُوَ الرجل تصيبه الْمُصِيبَة فَيعلم أَنَّهَا من عِنْد الله فيرضى وَيسلم].

الشيخ: وهذا قاله مجاهد رحمه الله، يعني تفسير مجاهد الذي أخذه عن ابن عباس، وكذلك علقمة، قال: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم، قوله: ﴿ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله﴾، يعني إلا بإذنه الكوني القدري، ومن يؤمن بالله يعني فسر الإيمان بقوله: بأنه يعلم أنها من عند الله، الإيمان في الآية فسره بقوله: أنه يعلم أنها من عند الله فيرضى بها ويسلم لذلك، ويكون جزائه زيادة الهدى، يهدي الله جل وعلا قلبه نعم.

القارئ: [وَقَالَ تَعَالَى [٢٢-٢٣ الْحَدِيد] : ﴿مَا أصَاب من مُصِيبَة فِى الأَرْض وَلَا فِى أَنفسكُم إِلَّا فِى كتاب من قبل أَن نبرأها إِن ذَلِك على الله يسير لكَى لَا تأسوا على مَا فاتكم وَلَا تفرحوا بِمَا آتَاكُم﴾] .

الشيخ: ما أصاب من مصيبة، هنا خطاب عام، وقوله: ﴿في الأرض ولا في أنفسكم﴾، يعني أن المصيبة العامة التي قد تكون عامة أو في الأنفس خاصة، والعامة التي تكون في الأموال وفي الجدب وفي الحروب وفي غيرها، أو

بأنفسكم من مرض أو موت أو غير ذلك، إلا في كتاب، يعني أنها مكتوبة قبل إيجادكم، وقبل وجود الخلق، كما في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله كتب مقادير الأشياء قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء»، فقولهم: من قبل أن نبرأها، الضمير هنا يعود على شيء لم يذكر، ولكنه مفهوم من الآية وهو النفس التي أصيبت بالمصيبة، أنها مكتوبة وموجودة قبل وجودها، ثم يقول: ﴿إن ذلك على الله يسير﴾، كونه يعلم الأشياء قبل وجودها، ويكتبه ويقع على وفق علمه وكتابته جل وعلا، ثم يقول: ﴿لكى لا تأسوا على ما فاتكم﴾، يعني هذا الإخبار حتى ما تأسوا وتحزنوا على شيء فاتكم لأنه لا يمكن أن تدركوه، لأنه قد كتب في الكتاب السابق أنكم لا تدركوه، وكذلك تفرحوا بالشيء الذي تظفروا به، قلنا: ظفرنا به بعملنا وكذا، لأنه مكتوب ومقدر، فلابد أن تتحصلوا عليه نعم.

القارئ: [وَفِي " الصَّحِيحَيْنِ " عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أَنه قَالَ: " احْتج آدم ومُوسَى فَقَالَ مُوسَى: أَنْت آدم الَّذِي خلقك الله بِيَدِهِ وَنفخ فِيك من روحه وأسجد لَك مَلَائكَته وعلمك أَسمَاء كل شَيْء فلماذا أخرجتنا ونفسك من الْجنَّة؟ فَقَالَ آدم: أَنْت مُوسَى الَّذِي اصطفاك الله بِرِسَالَاتِهِ وبكلامه فَهَل

وجدت ذَلِك مَكْتُوبًا عَليّ قبل أَن أخلق؟ قَالَ: نعم " قَـالَ: " فحـج آدم مُوسَـى ".

الشيخ: يعني أنه قال: حج آدم موسى، وكررها ﷺ ثلاثا، ومعنـى حاجـه غلبـه بالحجة نعم.

القارئ: [وآدَم عَلَيْهِ السَّلَام لم يحْتَج عـلى مُوسَـى بِالْقـدرِ ظنـا أَن المـذنب يحْـتَج بِالْقدرِ فَإِن هَذَا لَا يَقُوله مُسلم وَلَا عَاقل وَلَو كَانَ هَذَا عذرا لَكَانَ عذرا لإبليس وَقوم نوح وَقوم هود وكل كَافِر وَلَا مُوسَى لَام آدم أَيْضا لأجل الذَّنب فَـإِن آدم قد تَابَ إِلَى ربه فاجتباه وَهدى وَلَكِن لامه لأجل الْمُصِيبَة الَّتِي لحقـتهم بالخطيئـة وَلِهَذَا قَالَ: فلماذا أخرجتنا ونفسك من الْجنَّة؟ فَأَجَابَهُ آدم: إِن هَـذَا كَـانَ مَكْتُوبًـا عليّ قبل أَن أُخلق.

فَكَانَ الْعَمَل والمصيبة المترتبة عَلَيْهِ مقدّرا وَمَا قدّر من المصائب يجب الاستسلام لَهُ فَإِنَّهُ من تَمام الرِّضَا بِاللهَّ رَبًّا.

وَأما الذُّنُوب فَلَـيْسَ للْعَبـد أَن يُـذنب وَإِذا أذْنـب فَعَلَيـهِ أَن يـسْتَغْفر وَيَتُـوب، فيتوب من صـنوف المعايـب ويـصبر عـلى المـصائب قَـالَ تَعَـالَى [٥٥ غَـافِر] : ﴿فاصبر إِن وعد الله حق واستغفر لذنبك﴾ وَقَالَ تَعَـالَى [١٢٠ آل عمـرَان] : ﴿وَإِن تصبروا وتتقوا لَا يضركم كيدهم شَيْئا﴾ وَقَالَ [١٨٦ آل عمرَان]

: ﴿وَإِن تصبروا وتتقوا فَإِن ذَلِك من عزم الْأُمُور﴾ وَقَالَ يُوسُف عَلَيْهِ السَّلَام [٩٠ يُوسُف] : ﴿إِنَّه من يتق ويصبر فَإِن الله لَا يضيع أجر الْمُحْسِنِينَ﴾] .

الشيخ: يعني أن هذا الحديث قد ضل فيه بعض الناس، مثل الجبرية الذين يقولون: إن الإنسان مجبور على أعماله ولا اختيار له، وإنما هو بمنزلة الآلة التي تدار، أو بمنزلة الشجرة التي تهزها الريح من كل جانب لا اختيار لها، فإذا أضيف له شيء قيل له: أنه آمن وكفر واعمل كذا أو اعمل كذا، فهذا يقولون: على سبيل المجاز، كقولك: مات فلان وطلعت الشمس وأمطرت السماء وهبت الريح وسقط الجدار، الجدار له إرادة يسقط، الريح له إرادة يموت؟ بل أميت، فهم يحتجون بهذا، ثم يقولون أيضا، أن الله جل وعلا يقول لنبيه: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾، فنفى الرمي عن النبي وأثبته لنفسه، فهذه من المغالطات ومن الشبه، فكل هذا الحديث أيضا حجة لنا، أن يكون آدم احتاج بالقدر، فنحن إذاً نحتاج بالقدر، نقول: إن هذا ضلال كما قال الشيخ رحمه الله، ضلال بين، وآدم عليه السلام لم يحتاج بقدر ولا يمكن أن يكون موسى عليه السلام لامه على الذنب لماذا؟ لأن الذنب الذي تيب منه لا يجوز أن يذكر للإنسان، إذا تاب من ذنب يؤتى إليه ويقول: أنت أذنبت كذا وكذا، هذا لا يجوز من المحرمات، لأن التائب كمن لا ذنب له، من تاب ذنب فهو ليس له ذنب، ولو كان هذا لأمكن آدم عليه السلام أن يقول: أن قتلت نفس

فلماذا قتلت نفس؟ لكن آدم يعلم أن موسى عليه السلام لم يحتج عليه بالذنب ويعلم موسى أن الذنب قد تاب عليه فمحي أثره فلا أثر له، وإنما لامه على المصيبة، والمصيبة هي الخروج من الجنة، ولهذا قال: لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة؟ فالمصيبة يحتج عليها بالقدر، كما يقول العلماء: القدر يحتج به على المصائب لا على المعائب والذنوب، لأن الذنب الطريقة فيه أنك تتوب أولا: أنك لا تذنب، ولكن إذا أذنبت يجب عليك أن تتوب وتستغفر هذا المخرج، لا تقول: أن هذا قدر علي، هذا لا يفيد شيء، ومن قال هذا، فمعناه أنه يجعل اللوم على الله، يريد أن يبرأ نفسه ويجعل اللوم على القدر، فالمقصود أن هذا من الضلال البين، فاستدلالهم بالحديث استدلال باطل، فموسى عليه السلام لام آدم على أنه خرج من الجنة، يقول: أخرجتنا ونفسك، ثم هذا ما حقيقته؟ أولا: يجب أن نؤمن به، بغض النظر عن أنه وقع مقابلة أو أن آدم مثل له، أو أن موسى قاله بعد الموت، أو فهذا يجوز كله يجوز، أو يكون مثلا أن الله أمر آدم أن يخاطبه وإن كان ميت، لأن نبينا ﷺ لما عرج به التقى بالرسل، وكل رسول سلم عليه، وبعضهم وصاه، وموسى عليه السلام صار يسأله يقول: ماذا فرض الله عليك، ثم يقول له: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، كل هذه حقائق لا نعرفها لا ندركها أمور غيبية وهذا من جنسها، يعني احتجاج موسى وآدم يجوز أن يكون بعد الموت، ويجوز أن يكون موسى حيا وآدم ميت، كما وقع لنبينا ﷺ، ورؤيا الأنبياء وحي أيضا، يجوز أن يكون في الرؤيا ويجوز أن يكون في غيرها،

وعلى كل حال يجب أن نؤمن بأنه حق، كما أخبرنا رسولنا ﷺ، ثم المعنى هو هذا، أن موسى عليه السلام لام آدم على المصيبة التي هي الخروج من الجنة، وليس على الذنب، فلا يكون حجة لهؤلاء المبطلين، أما قولهم: إن الله جل وعلا نفى الفعل عن نبيه وأثبته لنفسه في الآية، قال: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾، فنقول في جوابهم: إن الذي نفي غير الذي أثبت، لأن القصة كما هو معروف في وقعة بدر، أمره الله ﷻ أن يأخذ بيده من الحصباء ويرميها نحوهم، نحو الكفار، فذهب هذا الرمية ودخلت في مناخرهم وفي أعينهم، فتحريك يده ورمي التراب نحوهم هذا فعل الرسول ﷺ، وإما إيصال التراب والحصباء إلى أعينهم ومناخرهم فهذا فعل الله جل وعلا، الرسول لا يستطيع ذلك، فالذي نفي غير المثبت، فلا يكون فيه حجة للمبطلين، والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد.